

مفاهيم القرآن

(15) والتوحيد الفعال هو أن نعتقد بأنّ هذه "الآثار" مخلوقة هي أيضاً لله تعالى كما أنّ عللها مخلوقة له سبحانه . بمعنى أنّ الله الذي خلق العلة المذكورة هو الذي منحها تلك "الآثار". فخلق الشمس وأعطاه خاصية الإشراق، وخلق النار وأعطاه خاصية الإحراق، وخلق السيف وأعطاه خاصية القطع، إلى آخر ما هنالك من العلة والمعلولات، والأسباب والمسببات والمؤثرات وآثارها. وبعبارة أخرى: إنّ "التوحيد الفعالي" هو أن نعتز بأنّ العالم بما فيه من العلة والمعالي، والأسباب والمسببات، ما هو إلاّ فعل الله سبحانه، وأنّ الآثار صادرة عن مؤثراتها بإرادته ومشئته. فكما أنّ الموجودات غير مستقلة في ذاتها بل هي قائمة به سبحانه، فكذا هي غير مستقلة في تأثيرها وعلليّتها وسببيّتها. فيستنتج من ذلك أنّ الله سبحانه كما لا شريك له في ذاته، كذلك لا شريك له في فاعليته وسببيته، وأنّ كل سبب وفاعل - بذاتهما وحقيقتهما وتأثيرهما وفاعليتهما - قائم به سبحانه وأنّه لا حول ولا قوة إلاّ به. ويندرج في ذلك "الإنسان"، فيما أنّّه موجود من موجودات العالم وواحد من أجزائه فإنّ له فاعلية، وعلية بالنسبة لأفعاله، كما أنّ له حرية تامّة في مصيره وعاقبة حياته، ولكنّه ليس موجوداً مفوضاً (1) إليه ذلك، بل هو بحول الله وقوته يقوم ويقعد ويتسبب ويؤثر . _____ 1 . المراد من التفويض هو أنّ الله أعطاه الفاعلية ثم هو يفعل ما يريد دون مشيئة الله وعلى نحو الاستقلال، وسيأتي شرح التفويض في الفصول القادمة مسهباً .